
المنظومة
ALMANDUMAH

دور المرأة في النهضة المغربية

لينة بن جلون

هل لنا أن نسجل السرور الذي يخامرنا، من النجاح المدرسي الذي أحرزت عليه طائفة من فتياتنا اللاتي كن موضع انتقادات عقيمة، اخنى عليها الدهر، وكانت تقف حجر عثرة، في سبيل تطور المرأة المغربية؟

لقد استطاعت فئة منهن أن يستنشقن هواءا نقيا، ويبصرن شمس المعرفة رغما عما كن يجدنه، من معارضات الشبان، الذين لا يختلفون في النظر عن عقلية الشيوخ، ويريدون أن يعيدوهن أسيرات، في حظيرة الجهل، بين الجدران المنمقة بالفسيفساء، التي تذكرنا دائما بحضارة فنية، انهار صرحها منذ خمسة قرون.

ما الفائدة من تعليم بناتنا القراءة والكتابة؟ هكذا يتساءل في لهجة لاذعة، بعض الشبان الشيوخ، ويزيدون علي ذلك قولهم : هل كانت أمهاتنا يعرفن شيئا من ذلك؟ ألم يقمن مع ذلك بشؤون المنزل والأطفال على أكمل وجه؟ إن تعليمهن، يجعلهن متعجرفات، من الصعب مسايرتهن (شؤون الحياة).

وهكذا، وفي ألفاظ موجزة نجمل الشكوى التي طالما رددها المحافظون ووجهوها ضد تعليم الفتاة.

إن كفاح المرأة في سبيل الاعتراف بحقوقها، يرجع الى عهد بعيد! هذا الكفاح المجهول، الذي نقل ربة البيت، إلى حضيرة المجتمع، والذي جعل من المرأة التي تعتبر خادمة المطبخ، شريكة الرجل، في كل نواحي نشاطه الاجتماعي!

إن المركز الذي تشغله المرأة المغربية الآن، في الهيئة الاجتماعية، ليس

سوى ذلك الذي كانت تشغله منذ ثلاثة عشر قرنا ، ولم تتطور عن ذلك إلا قليلا جدا ، وهذا المجتمع الذي كان منذ هذا التاريخ، يخالف من كل وجه، المجتمع الذي نعيش فيه الآن : فلقد كان الشاغل الأساسي للرجل هو الحرب، الحرب بالقوس والنبل، وكان الغرض منها هو الحصول على أسلاب مهمة. تقوم بأود الرجل، بدون الالتجاء الي عناء العمل، وكانت النساء اللاتي يقمن في الأسر، ينظر اليهن بمثابة السلع، ويبعن علنا في الأسواق، كمثل الخيل والجمال وغيرهما ، وذلك على حسب درجتهن، في جمال الخلقة. ومنذ ذلك بدأ تجار الرقيق ينظرون الى هؤلاء الأسيرات، وقد رأوهن يعرفن الغناء والرقص، نظرة أسمى من نظرة الحيوانات، فأخذوا يقومونهن، ويبيعونهن، كما تباع كلاب متعلمة أو حمير ناطقة!

ولم تتغير عقلية رجال الشرق، خلال الأحقاب والعصور، في نظرتهم الى المرأة، فكان الرجل منهم يتزوج فتاة، من عائلة كريمة، لكي تقوم بتمثل بيته، في مختلف الأعراس والحفلات، تم يستعيض عنها ، بثانية وثالثة عندما تظهر عليها أعراض الكبر، وإتماما لمتعته كان يشتري طائفة من الإماء الراقصات والمغنيات.

فهل هذا هو الزمن الجميل، الذي يتأسف بعض الناس على ذهابه، ولكن الحياة لا تحتمل التأسف والتحسر، بل تتطلب التناسق والانسجام المتواصل. فلقد انقرضت أشكال الحياة القديمة منذ ثلاثين سنة، والمسألة الآن هي معرفة : كيف نستطيع في مدة قليلة من الزمن، اختراق العصور، والحصول على نهضة، لم تحصل عليها أوربا إلا ببطء كبير، واستئناف السير، بخطى ثابتة، ومناسبة للبيئة مع محاداة النهضة الأوربية، والسير معها جنبا الى جنب، لأن الحضارة الأوربية، مثل اللباس الأوربي، متناسقان

. وقد رأينا شعوبا قوية، مثل مصر والشام والصين، واليابان، برهنت على أنه في الإمكان التناسق والانسجام، مع الحضارة الأوربية مع الاحتفاظ بشخصيتها القومية.

فالمرأة في الحضارة الأوربية تقاسم الرجل : كشريك في النصف، فمحاولة تطوير المغرب، حينئذ بدون تشريك المرأة، إنما هو ضرب من الخيال.

لقد استطاعت المرأة الأوربية، أن تساهم في الشؤون العامة، بفضل نشاطها، وإقبالها على العمل، ولاتزال منذ أحقاب تظهر تأثيرها العميق، في الحياة الاجتماعية، والثقافية، ولا نستطيع أن نتصور عصر لويز السادس عشر، بدون السيدات «رامبيويي»، و«دوسيفيني» و«لافاييت» و«دومنتنون»، وغيرهن كثير. وفي القرن الثامن عشر، كانت النساء تشاركن مشاركة فعالة، في الحياة الجامعية، ومن هناك أصبحن دائما، في طليعة كل الحركات الاجتماعية، التي تعنى بالأطفال والنساء، والمرضى، ولم تكن هناك حاجة، الى الأمل ليدفعن الى العمل، ولا إلى النجاح ليحفزهن، للمواظبة والمثابرة، وهذه الحقيقة الواضحة التي سجلها «كيوم دورانج»، تنطبق على عمل كثير من النساء اللاتي، كافحن ولازلن يكافحن من أجل سعادة المجتمع. وقد كرست الأمريكية «هارييت بيشرستون» حياتها، لمحاربة التجارة في الرقيق، كما أن السيدة «ساند جورج»، الفرنسية، كانت من بين الأولياء اللاتي حاربن، في سبيل المساواة السياسية، بين الجنسين، والسيدة الألمانية «بيرطافون سوتلنر»، تحتل الصف الأول بين الذين حاربوا في سبيل إقرار السلام العالمي، ونالت في سنة *1906*، بسبب ذلك، جائزة نوبل للسلام العالمي.

وأقرب من كل ذلك، الانجليزية «إيكلوتين جيب»، صاحبة «المؤسسة التعاونية لإنقاد الطفولة»، وهي المنظمة التي أنشأت سنة *1919*، في الوقت الذي كانت فيه ملايين الأطفال، كما هو الحال اليوم، يموتون جوعا في أعقاب الحرب، وقد قامت بمشروعها هذا، ولم يكن لها معين، سوى إيمانها الراسخ بالنجاح، فاستطاعت في سنة *1922* أن تجمع ما يزيد، على أربعة ملايين ليرة انجليزية، وقد أمكن لهذه المؤسسة بفضل ذلك، أن تساعد آلاف وآلاف الأطفال الجائعين. ولما تقدم إليها أولئك المعارضون، باستحالة إطعام جميع المحتاجين، أجابتهم ببساطة، لا تدعوني أشك في أن كل شيئ ممكن، ولاجل إنقاد الأطفال من الشقاء، ينبغي ثلاثة أشياء، المال، والمعرفة، وحسن الإرادة. فأما المال فلدينا منه القدر الوافر، ولكننا نصرفه في أشياء أخرى، ولنا من المعرفة ما يكفي لذلك، ولكننا لا نطبقه، أفلا نستطيع على الأقل أن نبدل قليلا مما لنا من حسن الإرادة، ونجعله في خدمة هذه الطفولة البائسة؟. ولم يقتصر عمل هذه السيدة الانجليزية ـ التي سنتحدث عنها في مناسبة أخرى ـ نطاق البلاد الأوربية، بل تعداه الى بلاد العالم بأجمعه، واخترق بلاد الصين، والفرس،

ومصر وتركيا. حتى بلغ إفريقيا السوداء. وقد ماتت السيدة «جيب»، سنة *1928*، ولكن عملها لايزال حيا، وهو يواصل التخفيف من عناء العدد الوافر من الأطفال المحرومين.

لقد عرضت أسماء هؤلاء السيدات، الجديرات بألقاب البطولة، والمجد، لأن عملهن يبرهن على شدة احتياج المجتمع الإنساني لهذه الجهود النسائية.

وهكذا إذا طالبنا بتعليم الفتيات، فهل من ذلك فقط مجرد أن يعرفن، قراءة عناوين الأفلام المصرية أو الفرنسية، أو قراءة (صحف الموضة)، وقراءة القصص الغرامية، التي ليس لها من الحب إلا الأنانية القاسية. إننا نريد تهذيب الفتيات المغربيات، لكي يصرن عضوات عاملات في المجتمع، نريد أن نبصرهن بالدور الذي عليهن أن يقمن به، في داخل العائلة، ولفائدة الأمة المغربية.

عن جريدة «الرأي العام»
عدد *22 أكتوبر 1948*